

أسس إبراز منهج الرحمة
في الخطاب الدعوي المعاصر

« جهود الدعاة في تنزيله على الواقع »

إعداد

أ.د. محمد زين الهادي الحاج علي العَرَمَابِي

عميد كلية الدعوة بجامعة أم درمان الإسلامية

وعضو هيئة علماء السودان، وعضو لجنة الفتوى بالهيئة

من أبحاث المؤتمر الدولي
نبي الرحمة محمد ﷺ

المنعقد في الفترة ٢٣ – ٢٥ شوال ١٤٣١هـ الموافق ٢ – ٤ أكتوبر **2010**م

برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز – حفظه الله–

والذي نظمته

الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها (سنن)



www.sunnah.org.sa



المقدمة

الحمد لله واهب العقول قاسم الأرزاق: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1]، و﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[2] له الشكر على ما وهبنا من علمه لنهتدي به في دياجير الدجى، لنعرفه على بينة: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3] وله الثناء الحسن،على ما أودع فينا من جسد من طين لازب ليناسب حياتنا على الأرض التي منها خلقنا، وفيها يعيدنا، ومنها يخرجنا تارة أخرى ليتم التجانس والتآلف بيننا وبينها وما تُنبت لنا من مأكولات ، رحمة بنا: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[4].

والصلاة والسلام موصلان إلى أفضل خلقه وصفوة رسله رحمة الله

(١) سورة العلق الآية ٤-٥.

(٢) سورة طه الآية ٥٠.

(٣) سورة الإسراء الآية ٨٥.

(٤) سورة طه الآية ٥٥.

للعالمين ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1] ﷺ، أزكى النفوس وأطهر الأعراق. وأكمل الناس خَلْقاً وخلُقاً، فاجتمع له كمال البشر وختم النبوة، الذي أجمل الله له ذلك بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[2].

أما بعد:

فإن الإسلام جاء لختم الرسالات الإلهية للبشرية،فجمع الله فيه فضائلها، وميزه بخصيصتين تجعلانه يساير كل زمان ومكان، ويلائم كل مكان، ويلبي حاجات كل أمة وفرد وجماعة،ويبين كل شيء: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾[3] ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ﴾[4].

الخصيصة الأولى هي: **الثبات** في أصوله وقواعده وأسسه وأركانه، التي تستعصى على التغيير والتبديل والتحريف والتزييف مهما كانت المحاولات، وكيفما تطاولت وتقادمت الأزمان وامتدت الأعصار،: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[5].

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٢) سورة القلم الآية ٤.

(٣) سورة النحل الآية ٨٩.

(٤) سورة الأنعام الآية ٣٨.

(٥) سورة الحجر الآية ٩.



الخصيصة الثانية هي: المرونة والسعة واليسر في فروعه التي تأتي في شكل عموميات، فهي كثيرة وغزيرة ويانعة الثمار ودانية القطوف لكل مجتنٍ، ميسرة لكل صاحب فكر ثاقب وعقل نير متزن ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ** ﴾(١).

والمرونة تأتي في الأمور الاجتهادية والاستنباطية القابلة للأخذ والعطاء تقعيداً على تلك الأصول الثابتة.... لقد خط الله لهذه الأمة منهجاً تنهجه، ورسم لها طريقاً تسلكه، وهو الصراط المستقيم فمن سلكه نجا، ومن زاغ عنه هلك ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾(٢).

وأصل المنهج والخطاب الدعوي، هو الصراط المستقيم، الذي تتفرع عنه الوسائل والأساليب لتعريف الناس **بمعالم الرحمة في دعوة** هذا النبي الخاتم، فهذا لابد من نهجه تماماً ولا يجوز التفرق فيه، والاختلاف عليه، لأنه أصل،أما الفروع الاجتهادية مما يسلكه كل داعية **لإبراز الرحمة في هدي نبي** الهدى فما ينبغي أن يعنف أحد الآخر عليها.

---

(١) سورة محمد الآية ٢٤.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٣.

وهذان الأصلان هما ما حاولت أن أبني عليهما بحثي في هذه الورقة العلمية، عقيدة ودعوة في وسطية واعتدال، بعيداً عن الجنوح للغلو والتطرف المجافي **لهدى الرحمة**، إنما السهولة والتيسير على الناس، لا الاحتراب والعنف**!!**

فلابد للدعاة أن يعرفوا عصرهم الذي يعيشون فيه، ويدرسوا أحواله وتقلباته، مثلما يدرسوا أحوال الناس أيضاً، ويعرفوا المصطلحات الوافدة والمتغيرة داخل البيئة الإسلامية، حتى لا تختلط الأمور، وتتأرجح الموازين، فينفتحون على العصر ـ وهم ثابتون على أصولهم متبصرون بهدى نبيهم، ومسايرون له بفروعهم الاجتهادية، حتى يستطيعوا معالجة قضاياه بسهولة ويسر، عارفين بمفاهيمه ومصطلحاته، لينشروا الحق على علم وبصيرة.

هذا، وقد قسمت البحث إلى أربعة مباحث، وكل مبحث إلى عدد من المطالب، حسبما قادني إليه المسار العلمي للبحث.

وقد تناولت في المبحث الأول أسس المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه الدعاة ولا يسعهم الاختلاف عليه أما المبحث الذي يليه، فقد دار الحديث فيه عن تأصيل المنهج الدعوي وتطوره، ومسالكه، وأحوال المدعوين،والوسائل والأساليب المستخدمة معهم حسب أحوالهم في إبراز وإيضاح **سعة الرحمة** في هذه الأسس.



أما المبحث الثالث، فقد خصصته للحديث حول وجوب مراعاة الفوارق بين المدعوين زماناً ومكاناً، عارضاً لمستجدات العصر وما يستخدم في كل ذلك من وسائل وأساليب دعوية تؤصل لأسس **سعة الرحمة** في الدين وكيف نهجها نبيه ﷺ.

أما المبحث الأخير، فقد تطرقت فيه لنماذج من القضايا المعاصرة، عرضاً وعلاجاً حسبما سمحت به مساحة البحث – سانداً تلك الحلول بأدلة شرعية بما يبين **منهج الرحمة** الذي اتبعه النبي ﷺ.

أما الخاتمة، فقد ذكرت فيها بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وبعض التوصيات، واختصارا للمساحة، فقد تركت المراجع في هوامش الصفحات فقط ولصغر حجم الورقة فقد تركتها أيضاً بدون فهارس.

وأسأل الله لنا وللمسلمين عامة والدعاة خاصة، التوفيق والسداد وأن يجنبنا الزلل إنه نعم المولى ونعم المعين وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د/ محمد زين الهادي العرمابي

alarmaby@gamil.comEmail:

* * *

المبحث الأول

أسس المنهج الدعوي العام الذي ترتكز عليه الرحمة

المطلب الأول: بناؤه على الكتاب والسنة:

أي منهج يريد له أصحابه أن يكون صالحاً وشاملاً ونافعاً للناس في كل شؤونهم،و يؤسسون عليه حياتهم ويرتكزون عليه في معاشهم ومعادهم، فلابد أن يرتشف من القرآن ويشرب من زلال ماء السنة غير الآسن ويبرز **معالم الرحمة** في هذا الدين.

فالقرآن كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم حميد،وهو المنهج السوي الذي اختاره الله للبشرية لتسير على هداه حتى تصل إلى بر الأمان ومرفأ السلام: ﴿ **هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾[1] فهو منهج: ﴿ **لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾[2].

وهذا المنهج الذي يقوم على أساس القرآن يخرج البشرية من ظلمات الجهالة والضلالة إلى نور الهداية: ﴿ **الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ**

(١) سورة الجاثية الآية ٢٠.

(٢) سورة فصلت الآية ٤٢.



﴿ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾(1)، فمنهج القرآن هو المنهج الأصلح والأقوم والأنفع والأبقى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾(2).

ولننظر الآن لوصف الرسول ﷺ، لهذا المنهج القرآني «كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم،وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله،وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن، ولا تشبع منه العلماء، لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنه الجن إذ سمعته، حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾(3) من قال به صدق ومن عمل به أجر،و من حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط المستقيم(4).

(1) سورة إبراهيم الآية ١.

(2) سورة الإسراء الآية ٩.

(3) سورة الجن الآيات من ١-٢.

(4) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب رقم (١٤) ما جاء في فضائل القرآن، حديث رقم (٢٩١٥) وقال فيه هذا حديث حسن غريب وأخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن من قرأ القرآن باب الفضل.

لقد لخص النبي ﷺ هذا المنهج القرآني، بما أوتي من جوامع الكلم، في تلك الكلمات الجامعات التي لا مزيد عليها، ولا أوفى منها فما من شك في أن القرآن هو منهاج الله الحاوي الواعي الشافي الكافي بحاجات البشرية كلها، دقيقها وعظيمها، وعلم تشريع وحكم وحكمة، واقتصاد وتجارة رابحة، وسياسة حكيمة راشدة، ودنيا وآخرة،و هداية ورعاية، وإصلاح وفلاح، وشفاء لما في الصدور والأبدان والعقول وهو رحمة في كل شؤونه.......... الخ.

ونقول في تركيز هذا المعنى وتلخيصه،إن نصوص الوحي وتوجيهاته – عموماً – هي مفاتيح اتصال بين إرادة الإنسان وقدراته التسخيرية والعلمية، وبين السنن الكونية التي تضبط تغيرات المجتمع وحركته، وهذه العلاقة بين التوجيه القرآني لحركة الإنسان، وبين الناتج الحضاري للفكر الإنساني علاقة ثابتة دقيقة.لا تتخلف ولا تختل بحال،و دراسة نصوص القرآن تؤكد هذه الحقيقة[1] فالكون كله يسير وفق سنن خالقه ومبدعه ومن خلال منهجه الذي وضعه له: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

---

(١) في منهجية الدعوة الإسلامية المعاصرة، ص٢٦ أحمد سلام، دار الإيمان بالإسكندرية ط ١ ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٢) سورة لقمان الآية ١١.



فعلى الداعية الذي يريد أن يحسن منهجه ويواكب عصره ويفيد مجتمعه، أن ينهج نهج القرآن ويترسم خطاه ويحذو حذوه، ويتبحر في علومه، حتى يعرف أصله فيقف عنده، ويميز الفرع في مرونته وسهولته ومطاوعته ومسايرته للزمان والمكان، فلا يشدد على الناس فيه، وليعلم أن الشدة تجافي **منهج الرحمة** الذي بعث به **نبي الرحمة**: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾[1].

إن القرآن منهج متكامل يصلح لكل زمان ومكان،وكل الأعمار وكل الأجيال وكل الأحوال وكل الأذواق وكل الأجناس وكل الأوقات وكل الساعات وكل الساحات فهو **رحمة** الله للناس كافة.......... الخ.

أما السُنة فهي المبينة للقرآن الشارحة لمختصره المفصلة لمجمله المخصصة لعامة المقيدة لمطلقه وهي نوع من الوحي، لأن كلام النبي ﷺ بشهادة القرآن هو وحي: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴾[2].

بل إن الله ألزمنا بما جاء من عند النبي: ﴿ **وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا**

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٢) سورة النجم الآية ٣-٤.

﴿...نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1] ونحن مطالبون أن نحكم رسول الله في كل شؤوننا، بل لا يكتمل إيماننا إلا بهذا: **﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾**[2]، النبي ﷺ حذرنا من أن ندعي أخذنا بالقرآن دون السُنة وأن ما جاء به هو أيضاً قرآن: «**ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، وإن ما حرم رسول الله ﷺ، كما حرم الله**»[3].

وفي رواية لأبي داوود.. «**فما وجدناه في كتاب الله من حلال استحللناه، وما وجدناه من حرام حرمناه! وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله**»[4] وفي رواية لأبي داوود زيادة: «**لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول.....**»[5] وسُنة

---

(١) سورة الحشر الآية ٧.

(٢) سورة النساء الآية ٦٥.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب ما نهى عنه أن يقال عند الحديث، رقم (٢٦٧٣) وقال حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه أبو داوود في كتاب السنة باب ٩ لزوم ما نهى عنه أن يقال عند الحديث،عن رسول الله ﷺ رقم (٣٢٤).

(٥) المرجع نفسه ونفس الأبواب والكتب.

النبي ﷺ وحي – كما ذكرنا – بدليل الآية السابقة وغيرها،لاسيما في التشريع، وما أمر بتبليغه، ولهذا جاء عنه: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»[1] قال الخطابي في معالم السنن معلقاً على هذا الحديث «قوله: أوتيت الكتاب ومثله معه «يحتمل وجهين من التأويل أحدهما: أن يكون معناه أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو، وأوتي من البيان، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب، ويعم ويخص، وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس في الكتاب (حكم ظاهر) ويكون ذلك وجوب الحكم ولزوم العمل به كالظاهر المتلو من القرآن..، وفي الحديث دليل على أنه لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول ﷺ كان حجة في نفسه»[2].

والنبي ﷺ أعطى جوامع الكلم، ولهذا فقد جاءت سنته شاملة ومستوعبة لكل جوانب الحياة، كما رسخ ذلك في الحياة بالقول والتوجيه والإرشاد وبالعمل الواقعي، ولهذا فقد كانت سننه أصلاً يؤسس عليها ويستنبط منها ويقاس عليها ويفرع منها تعم رحمتها كل أطياف الناس.

(١) المرجع السابق ونفس الأبواب والكتب حديث رقم ٤٦٠٤.

(٢) معالم السنن للخطابي المطبوع مع سنن أبي داوود ٥/ ١٠ طبع دار الحديث سوريا حمص ط ١ ١٣٩٤هـ - ١٩٥٧م.

ولقد فطن الصحابة لهذا الشمول والاستيعاب في السُنة، فقد روى عنه عدد منهم مثل عمر وحذيفة وغيرهم، رضي الله عنهم أجمعين، فقالوا: «**قام فينا رسول الله ﷺ، مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه، وفي رواية للترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: صلى بنا رسول الله ﷺ، يوماً العصر بنهار ثم قام بنا خطيباً، فلم يدع شيئاً...**» الحديث....[1].

هذا الأساس من القرآن والسُنة هو الذي ندعو المسلمين عامة والدعاة خاصة أن يؤسسوا عليه حياتهم حتى يتجنبوا المزالق إلى الشطط أو التراخي والفتور لأنه هو المنهج الوسط الذي منه نأخذ **سعة الرحمة** ومنهجها في تأسيس هذا المنهج الذي تؤسس له أصالة الرحمة في منهج النبي ﷺ.

* * *

---

(١) الحديث متفق عليه في عموم لفظه وذكره البخاري في عدة أبواب وكتب، ومنها كتاب بدء الخلق باب ١ حديث رقم ٣١٩٢، ومسلم في كتاب الفتن باب إخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة حديث رقم ٢٣ وأبو داوود في كتاب الفتن باب ذكر الفتن حديث ١ والترمذي في كتاب الفتن باب ما أخبر به أصحابه حديث ٢٦ والمسند ٥/ ٣٨٥.





المطلب الثاني: العلمية والتخطيط في منهج الرحمة:

لا يكون العمل ناجحاً وموفقاً إلا إذا كان وفق رؤية تخطيطية هادفة، وهذا التخطيط لا يكون إلا بصحبة رؤية علمية أيضاً، حيث إن التخطيط والعلم صنوان وتؤمان لا يفترقان ولا تخطيط بدون علم، ولا يصلح العلم إذا لم يزين بالتخطيط والمنهج العلمي المخطط هو المنهج الإسلامي الأصيل الذي يجب أن يسلكه الدعاة لإبراز **منهج الرحمة** النبوي في تعاملهم مع فئات المجتمع المحلي والعالمي.، فالقرآن يحث على العلم والتخطيط في كل عمل، حتى في صلاة المسلمين وحروبهم... بل وفي طريقة نومهم ومعاشهم.. كل ذلك منظم ومخطط، والأطفال والخدم الذين هم في البيوت لهم أوقات خاصة يدخلون فيها على الكبار وأوقات ممنوعون فيها حتى لا يكشف المستور، نأخذ على ذلك أنموذجين عمليين، أحدهما في الصلاة في حالة الحرب، وهي أشد الحالات التي تختلط فيها الأمور لم يتركها الإسلام بدون تخطيط دقيق، والآخر عن دخول الأطفال على الكبار.

أما الأول: ففي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ**

تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[1].

والأنموذج العلمي الثاني:جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

والمنهج العلمي في القرآن يقوم على التثبت والتريث الذي يعني العلمية والتخطيط بعكس المنهج العشوائي الذي يخبط بدون تدقيق.. فهذا هو القرآن يدعو المؤمن إلى هذا المنهج الرصين بهذا النداء المحبب إلى النفس: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[3].

---

(١) سورة النساء الآية ١٠٢.

(٢) سورة النور الآية ٥٨.

(٣) سورة الحجرات الآية ٦.



إذن سوء التخطيط وعدم العلمية المنهجية عاقبته الندم، ولات حين مندم**!!** فكلما خططنا، كلما عرفنا **منهج النبي القائم على الرحمة** في كل شيء والرحمة أسلوب جاذب في المنهج وهو مبشر وغير منفر.

والحق من الباطل والصالح من الطالح، وقبيح الأخلاق من حسنها، لا يتبين ولا تتضح معالمها وحدودها إلا بالعلم: ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾[1] فنقول للأمة الإسلامية عامة وللدعاة خاصة، إذا كان العلم بهذه المكانة وهذا الأثر في بناء المجتمع وضبط أخلاقه وصيانة علاقته... ونحن أمة تعد نفسها لخوض معركة حامية الوطيس من أجل استعادة حيويتها وإعادة شخصيتها وريادتها باعتبارها أمة وسطاً شاهدة على الأمم تؤسس وسطيتها على **غرس صفة التراحم** بين الناس كافة لمنهج متبع وسبيل ناهجةٍ، كما هي خير أمة أخرجت للناس وأعدت لهم إعداداً خاصاً.. وإذا كان أمرنا كذلك فلابد لنا من إعداد أنفسنا وتسليحها بكل ما يؤهلنا لمواكبة طوفان العولمة والاستفادة من صالحه وصد طالحه، بل نغزوا العالم بعولمتنا نحن المسلمين، كما كنا من قبل..

(١) سورة الزمر الآية ٩.

وجهد الداعية في هذا المعمعة ليس سهلاً، ولا ينبغي أن يكون هامشياً، فهو أكثر من مفتٍ أو مربٍ أو مصلح أو مجرد معلم أو مرشد جماعة صغيرة أو كبيرة ، أمة، فحسب، بل هو منوط ببناء الشخصية الإسلامية الأصيلة على قواعد منهج النبي صل الذي بعثه الله **رحمة مهداة** للخلق كافة[1].

والداعي صاحب فكر أصيل لا ينحرف مع التيارات الصاعدة ولا يعجبه الزبد الطافي، ولا ينقاد لارتباطاته الشخصية ولا لعصبية ولا لعواطفه، ولا يستهويه هرج ولا مرج ولا خلة ولا صاحبة، إذا كانت تصيبه بالوهن أو تحيده عن الطريق القويم: **﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾**[2].

والنبي ﷺ، كان دأبه التخطيط والتنظيم والدقة في كل أعماله لم يؤثر عنه أنه عمل عملاً خبطاً، ففي الهجرة جهز نفسه وراحلته وكتم خروجه وأوكل علياً يضطجع على فراشه متدثراً ببرده تعمية على الأعداء، لكي يؤدي الأمانات التي

---

(١) للتوسع انظر، علم النفس الدعوي، للمؤلف ص ٩٧ وما بعدها ١٩٩٣م.

(٢) سورة المجادلة الآية ٢٢.



كانت مودعة عنده،ثم يخرج في جنح الليل.. فيختفي في الغار ثلاثة أيام حتى يسكن البحث عنه، ثم يتجه جنوباً وهو يريد الشمال، وفي غزوة بدر يصف الجيوش ويرتبهم وينظمهم ويسمع رأي الحباب بن المنذر في النزول أدنى ماء من القوم ويغور القلب التي بينه وبين العدو حتى يشرب جيشه ويعطش جيش العدو والحرب خدعة.. وفي غزوة الأحزاب يحفر الخندق ويبث العيون(1) وهكذا شأنه دائماً في سعته ورحمته وتخطيطه.

* * *

المطلب الثالث: الثبات والمرونة في منهج الرحمة:

إن الله،ﷻ، اختار هذا الإسلام منهجاً لحياة الناس كلهم، على اختلاف بلدانهم وسحناتهم، وأزمانهم،يسيرون على هداه في شؤونهم كلها يتراحمون ويرحمون به.

ومن الأدلة العقلية الواقعية على **عالمية الرحمة** في هذا المنهج الرباني أن الله لم يبعث رسولاً بعد محمد، ﷺ، وهو حجة دامغة لمن لم يؤمن بالدليل النقلي الإسلامي، ذلك لأن الله لم يترك البشرية تتيه من غير هاد يهديها الطريق الحق:

(1) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب ٥ هجرة النبي وأصحابه حديث رقم ٣٩٠٥ السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٤٨٦ المكتبة العلمية بيروت بدون تاريخ.

﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[1]، ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيراً ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[2]. وذلك لأن عد م إرسال الرسل **يجافي الرحمة** ويجافي قيام الحجة.

وهـذا المـنهج الـذي اختـاره الله ليسـير مـع الإنسـانية، لا بـد أن يتميـز بخصائص تجعله يتلاءم ويتواءم مع كل عصر وجيل.. كل يجـد فيـه بغيتـه، لأن حاجات الناس وقضاياهم متجددة على الدوام ولا يسعها **إلا منهج الرحمة** حيث سعته غير متناهية....

ولهذا فقد جاء في المنهج خصيصتان تجعلانه صالحاً لكل الأزمنة والأمكنة ذات قواعد وفوائد نلخصها فيما يلي:

مميزات الثبات في منهج الرحمة:

١- يتميز الثبات بوجوده في أصول المنهج، الذي يجعله غير قابل للتغيير والتبديل، أو الزيادة والنقصان أو المد والجزر، ذلك لأن الله تكفل بحفظ هذا الأصل، لتستمد منه البشرية حاجاتها على مر الأعصار والأطوار: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

(١) سورة الإسراء الآية ١٥.

(٢) سورة فاطر الآية ٢٤.



ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(١) فهو محفوظ ومحكم ولا شقوق فيه ولا فروج: **﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾**(٢).

٢- ومن مميزات الثبات أنه يحفظ أصول هذا المنهج من الاقتلاع والاجتثاث والذوبان،فلا تذروه رياح العولمة ولا تجرفه سيول الحضارات المادية.

فكلما جاءت تيارات الباطل تتغشاه وتطفو عليه كالزبد الرابي ما يلبث أن يتبخر، ويبقى **منهج الرحمة** ماء صافياً نميراً: **﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾**(٣).

٣- ومن مميزات هذا الثبات في **أصول منهج الرحمة** الإسلامي، أنه يحميه من الذوبان في المناهج الأخرى والثقافات الوافدة والطفيليات الدخيلة عليه، فلو أن أصول هذا المنهج غير ثابتة لتعرض للتحريف والتبديل منذ زمن، خاصة أنه جرت محاولات عديدة لذلك ولكنه منهج رحمة فقد خص الله أصوله بالثبات.

---

(١) سورة الحجر الآية ٩.

(٢) سورة هود ١.

(٣) سورة الرعد الآية ١٧.

مميزات المرونة:

حتى يتكامل هذا المنهج ويصلح لكل زمان ومكان ولكل الأجيال، فلا بد أن يتسم بالمطاوعة والواقعية حيث تكون المرونة في أطرافه وفروعه،رحمة بالخلق كلهم.

ومن فوائدها:

أنها تجعل المنهج يساير كل الأعصار والأجيال، وبها يساير المستجدات والمستحدثات العصرية ويستدعيها ولا يتناقض معها، أو يلفظها، أو يجمد عليها ما دامت لا تتعارض مع الثوابت في الأصول..

كما أن المرونة في الفروع تتيح للناس الحركة في شؤونهم بحرية كاملة، من خلال دائرة الأصول الثابتة العريضة الممتدة قمتها تساير عادات الشعوب وأعرافهم، في الألبسة والأشربة والمأكل والمركب والمسكن.. فإنها لا تخرج عن هذه المرونة.. فالقاعدة الشرعية: **الأشياء على الإباحة ما لم يرد نص بتحريمها.** فمهما تغيرت الأشياء وتبدلت وتعولمت ضمن هذا الإطار. فلا مانع منها، وهذا معني القاعدة الشرعية الأخرى التي تقول: **تتبدل الأحكام بتبدل الأزمان،** والأحكام التي تتبدلت هي الفرعية الاجتهادية، وليست الأصول والثوابت.

فلا بد للدعاة أن يعرفوا هذه المميزات في **منهج الرحمة النبوي** فلو أن

الأصول كانت مرنة لاجتثت واقتلعت ولذاب المنهج في التيارات الأخرى، كما أنه لو كانت الفروع جامدة وغير مرنة وغير قابلة للاجتهاد فيها، لكان هذا المنهج جامداً ولتخطاه الزمن ولم يعد صالحاً لكل زمان أو كل مكان أو كل جيل، ولكنها **سعة الرحمة** التي خص الله بها رسوله ﷺ،فثبات الأصول نستمد منه ونبني عليه ونؤسس، ونقعد القواعد ونرسى الدعائم للبناء.

والفروع المطاوعة نسير بها مع الأمكنة والأزمنة دون أن تتخطانا بعولمتها أو تتجاوزنا بسرعتها...

هكذا اقتضت حكمة الله في **رحمة هذا المنهج النبوي**، فهو ثابت ومرن ومساير لا يعتريه تغير في أصوله،ولا جمود في فروعه.

***

المطلب الرابع: التوازن في منهج الرحمة:

التوازن سُنة كونية أقام الله عليها كونه فكل شيء في الكون متوازن، لا خلل فيه، ولا تفاوت: ﴿**ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ ۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ**﴾[1] في كل شيء من المجرة إلى الذرة في اتزان، فجاذبية الأرض وجاذبية الأنجم.. حتى نصل جاذبية الذرات، سالبها وموجبها..

(١) سورة الملك الآية ٣.

في تناسق يحفظ للإنسان كل ما حوله في ثبات وديمومة، مما يشي بعمق الرحمة بالإنسان خاصة والمخلوقات عامة...

فالداعي لا يستطيع أن يحقق التوازن مع غيره حتى يحققه مع نفسه،ثم مع أهله وعائلته وأسرته ومن له عليهم ولاية. هكذا علمنا القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[1].

والنبي ﷺ كان يحث على إصلاح النفس أولاً حتى في الأمور الاقتصادية، وذلك لأن من لم يصلح نفسه لا يكون أهلاً لإصلاح الآخرين، وفاقد الشيء لا يعطيه.

فجاءه رجل يحب أن يتصدق، ويريد المكان المناسب الذي يضع فيه صدقته فدار بينه وبين الرسول الحوار التالي:

قال: يا رسول الله عندي دينار.

قال: تصدق به على نفسك.

فقال: عندي آخر.

فقال: تصدق به على زوجتك.

فقال: عندي:آخر.

(١) سورة التحريم الآية ٦.



فقال: تصدق به على ولدك.

فقال: عندي آخر.

فقال: تصدق به على خادمك.

فقال: عندي آخر.

فقال: أنت أبصر به[1].

ولهذا التوازن فقد أمر الله نبيه أن يبدأ في الدعوة بإعلان منهجه الجديد بأهله وعشيرته، فهم الأولى بذلك: ﴿ **فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ** ﴾[2][3]. وقد فعل النبي ﷺ، ذلك فدعا زوجه خديجة ودعا علياً، ثم أقرب أصدقائه أبا بكر، ومن **الرحمة البداية** بالأقربين فمن لا يرحم نفسه وقريبه لا يرحم الآخرين.

ولقد ربط الله هذا المنهج الدعوي من أوله بالعقيدة، فكما يلزمه توحيد الله وإفراده بالعبادة كذلك يجب عليه إعلان الدعوة والبداية بالأولى وهم الأقارب

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٢/ ٢٥١و٢٦١، والنسائي في كتاب الزكاة باب ٥٤ حديث رقم ٢٥٣٥ الصدقة عن ظهر قلب وغيرها.

(٢) انظر معالم الدعوة في ضوء المنهج النبوي للمؤلف ص ٨٥ ط ١، الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة ١٩٩١م.

(٣) سورة الشعراء الآيتين (٢١٣و٢١٤).

واستعمال كافة الوسائل والأساليب التي تسمع صوت الدعوة للناس عامة، وللعشيرة خاصة[1].

وقد يتساءل المرء لماذا إنذار العشيرة أولاً؟ وهل ذلك لازم للتوازن الدعوي في **منهج الرحمة**؟ ويلخص الإجابة عن السؤال القرطبي قائلاً: «... خص عشيرته الأقربين بالإنذار لتحسم أطماع سائر عشيرته، وأطماع الأجانب في مقارعته إياهم على الشرك»[2].

والمقصود بذل الجهد معهم، والبدء بهم وليس عدم تعديهم إلى غيرهم من الرعية يقف عليهم حتى يسلموا أو يستجيبوا لما يدعوهم إليه ولا يتعداهم إلى غيرهم قبل الاستجابة وإنما المقصود البداية مع الاستمرار في دعوتهم وعدم اليأس.

وخلاصة الحديث عن التوازن فإننا نجمله– خوف الإطالة – فنقول: إنه يكون في شأن الداعي كله، ابتداء من العقيدة الصحيحة القائمة على الدليل إلى العبادة. فالتوازن أساس من أسس المنهج الدعوي المعاصر، خاصة في مثل هذا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٣/ ٩٦ دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) المرجع نفسه ، بنفس الجزء والصفحة.



الوقت الذي اضطربت فيه الموازين واختلطت المعايير، وتقاطعت فيه الخطوط وتشابكت وسال عليه لعاب العولمة بكل جراثيمه وميكروباته، **فرحمة بالناس** جميعاً تعريفهم بأن هذا منهج رسول الإسلام **رحمة لكل الشعوب**. فالداعية المسلم محتاج إلى التوازن في مسكنه ومركبه وملبسه وهندامه وسمته وتعامله وتحادثه، وفي حكمه على الآخرين من الدعاة والعلماء والمدعوين عموماً حكاماً ومحكومين، فلا يأخذهم بالظنة والتهمة التي لا تثبت.

***

المطلب الخامس: الاستقلال وعدم التبعية أساس منهج الرحمة:

منهج الرحمة أساس يلزم الداعية بناء منهجه عليه، حتى لا يكون شخصية إمعة ينعق مع كل ناعق، أو ذيلاً يسحب في كل اتجاه، وإنما نود له أن يكون شخصية قائمة بذاتها، متجردة من كل تبعية عمياء، شرقية كان أم غربية. فهو كالشجرة التي وصفها تعالى شامخة سامقة تقوم على الحق وتستمد منه غراسها وثمارها: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[1].

إن الاستقلال الذي نتحدث عنه في **منهج الرحمة** هو أصل إسلامي، فالإسلام أبداً لم يكن يوماً ضعيفاً. يحتاج إلى ترقيع أو تقوية من أنظمة أخرى،

(١) سورة النور الآية ٣٥.

لأن الله جعله خلاصة الأديان وثمرتها.

لقد علمنا القرآن أن نقف على قدمينا وأن نسير مع الحق وأن نعالج الخلل بقوة وعزيمة، ولكن بحكمة وكياسة هي الرحمة النبوية.

والقرآن في بنائه للشخصية الإسلامية المستقلة، ساق لها نماذج من أولئك الذيليين وعاب عليهم ذلك من أنهم عالة على غيرهم في الفكر والفهم، فنعتهم بأنهم تابعون لأفكار وآراء وعقائد غيرهم في سذاجة وتبلد، وفي ضبابية الفكر والمنهج والسلوك والأسلوب والوسيلة، ونفر غاية التنفير من أطروحاتهم القائلة: ﴿ **بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ** ﴾[1].

وكذلك مقولتهم الباهتة ذات الصوت الخافت: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ** ﴾[2].

لقد حرر الإسلام المسلم من أغلال التبعية المتمثلة في عقدة «الكبار «أصحاب الأطروحات الهلامية الغامضة، التي تتلون من وقت لآخر في خداع مضلل، مثل العالم المتحضر والعالم المتقدم والعالم الحر والنظام العالمي الجديد،

(١) سورة الزخرف الآية ٢٢.

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٠.



ونظام العولمة... الخ.

وهذا المنهج الاستقلالي الرحب هو ما فهمه ربعي بن عامر عندما سأله قائد جيش الفرس: ما الذي جاء بكم؟فقال في عز وشموخ: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم...»[1].

هذا هو أنموذج الاستقلال العقدي والثقافي الذي نريده للمسلم المعاصر المبعوث به **النبي رحمة للناس**..

***

المطلب السادس: الشمول والاستيعاب في منهج الرحمة النبوي:

الشمول والاستيعاب لكل ما يهم البشرية في حياتها وبعد مماتها، في دنياها، في كل صغيرة وكبيرة.. هو منهج إسلامي راسخ وأصيل، قام عليه الخطاب الإسلامي وجاء به القرآن وعمل به النبي ﷺ، ومَنْ بَعْدَه وأعلم الله به رسوله: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا** ﴾[2]. وأمره أن يعلن ذلك للناس جميعاً: ﴿ **قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا** ﴾[3]. وأبرز فيه أساس

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٤٣ ط٥ دار المعرفة بيروت ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٢) سورة سبأ الآية ٢٨.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٥٨.

منهج الرحمة: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

والسنة هي الأخرى دالة على هذا الشمول والاستيعاب في المنهج الإسلامي «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، بعثت إلى الأحمر والأسود وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل حيث أدركته**»[2].

وفي رواية: «**وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون**»[3]. إن المنهج الشامل الذي نحث الدعاة على جعله في صلب منهجهم، هو منبثق من عالمية الدعوة الإسلامية، التي أساسها الوفاء بحاجات الإنسان والرحمة به، ومنهجها تعليمي عقدي تربوي يُعنى بتكريم الإنسان الذي كرمه الله: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ

---

(١) سورة التوبة ١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التيمم باب (١)، والترمذي في كتابر الصلاة، برقم (٢٣٢).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد برقم (٦) وكتاب الطهارة، باب (٩)،والإمام أحمد في المسند ٣/ ٣٠٤.



خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[1].

ووسيلتها بناء الإنسان الفاضل والأسرة المتماسكة، وتصحيح العقيدة بالله واليوم الآخر، وإقامة الدولة الرشيدة لحراسة العقيدة والإيمان بالله واليوم الآخر والأخلاق والسلوك، وتعميم كل ما يؤدي إلى رقي المدنية وإعلاء صرح الحضارة الإسلامية[2] وتنمية وتقوية شخصية المسلم وغرس الاعتزاز بالدين الإسلامي والأمة الإسلامية ومعرفة **سعة الرحمة في المنهج النبوي**.

***

المطلب السابع: من أسس منهج الرحمة ترتيب الأولويات:

هذا الأساس ركن ركين وعمود فقري يسند ظهر الدعوة ويمدها بالحيوية ويسهل عليها مرونة الممارسة والاستمرار في سلاسة ويسر،ويمنع التداخل والخلط بين ما يجب أن يقدم وما يلزم تأخيره، وما ينبغي أن يفعل الآن وما يتحمل المهلة والتأخير.

... فالداعي هنا مثله مثل الطبيب يعرف إن كان هذا المريض يحتاج لعملية

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧٠.

(٢) للتوسع انظر: فن نشر الدعوة زماناً ومكاناً للمؤلف ص ٢١ وما بعدها نشر دار العاصمة بالرياض – السعودية ط١ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

مستعجلة آنية، أم يتحمل برهة من الزمن يقدم عليه غيره، مثلما أن بعضهم يقدم له علاج كيماوي، والآخر لابد له من الاستئصال الجراحي.

وكما أن الطبيب لا يَقْدُمُ على علاج المريض إلا بعد إجراء التحاليل اللازمة، فكذلك الداعية لا بد له من دراسة كل ما حول المدعو،مثل البيئة والمحيط الثقافي والعقدي والتيارات والجماعات الموجودة وما تقوم به من أنشطة ومدى الاستفادة منها،وما ملاءمتها لما يدعو إليه،وما الذي يتفق معها فيه. والذي يختلف وكيف يمكنه إصلاح منهجها ويجعله لصالح الدعوة الصحيحة النظيفة؟ بل يدرس المناخ وتأثيره على الناس من النواحي النفسية والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية،كل ذلك يدرسه من حيث الحرارة وشدتها والبرد القارس، من غابات وجبال وصحاري ووديان ووهاد، ومن سهولة ووعورة، ومن صعوبة في العيش وشظف في كسبه أو سهولة ويسر ورخاء.. حتى يأخذ لكل تلك الأنماط أهميتها ويعد لها عدتها من الوسائل والأساليب التي تناسب كل حالة فهي كلها لها أثر بالغ على الإنسان يلزم الداعية معرفته...

وترتيب الأولويات منهج نبوي قرآني أصيل، فنزول القرآن منجماً حسب الأحداث والوقائع، هو ترتيب للأولويات،حيث أول الآيات نزولاً بعد آيات القراءة والعلم،التي هي مفتاح كل علم، نزلت آيات تصحيح العقيدة،لأن القوم

كانوا على شرك وعبادة غير الله، ثم تدرج الأمر حسب الحاجة حتى عم التشريع كل حاجات الناس.

وبدأ النبي ﷺ، الدعوة بأهله وذوي القُربى والصداقة.. ترتيباً للأولويات، وتقديماً للأهم على المهم، والأحسن على الحسن.. وترسيخاً لهذا المنهج فقد أوصى النبي ﷺ، معاذاً عندما بعثه لليمن فقال له: «**ادعُهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله،وأن محمداً رسول الله، فإن أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم**»[1].

فنرى النبي ﷺ، هنا يخبر معاذاً أن يبدأ برأس الأمر وهو **العقيدة وشهادة** أن لا إله إلا الله التي لا يصلح ما بعدها إلا مرتباً عليها، ثم يلي ذلك في الأولوية الصلاة عمود الإسلام التي لا يثبت بيت الإسلام بدونه... وهكذا **يتسع ماعون الرحمة النبوية**..

***

المطلب الثامن: من منهج الرحمة النبوي التدرج والتيسير:

التدرج هو تقديم مطلوبات الإسلام في جرعات دوائية حسب حاجة

(١) متفق عليه،وهذا أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب ١ وجوب الزكاة، ومسلم في كتاب الإيمان باب ٢٩ وأخرجه غيرهما.

المدعو، زمانًا ومكاناً وعلماً وعملاً، ليبلغ المدعو المرتبة بأشياء بعينها يحتاج فيها إلى تفصيل، أو تطويل، أو شرح أو بسط، حتى يستسيغها ويهضمها، ولا يصلح أمر الدعوة والدعاة بدونه. فلا يوجد شيء في الإسلام يقوم على الطفرة والقفزة والوثبة، بل كل شيء يسير على تؤدة ومهل، من الأصغر إلى الأكبر، ومن الأسهل إلى السهل، ومن المألوف الذي سكن إليه الناس أمداً طويلاً إلى الذي يليه من غير أن يشعروا بفجوة، أو أنهم انتزعوا انتزاعاً وهو ما قصدته السيدة عائشة متحدثة ومؤكدة على هذا التدرج المصحوب بالتيسير بقولها «.. إنما نزل أول ما نزل منه -القرآن – سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى أذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام،ولو نزل أول شيء «**لا تشربوا الخمر**»، لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل «**لا تزنوا، لقالوا لا ندع الزنا أبداً**..»[1].

وهذا المعنى المفصلي في التدرج المصحوب بالتيسير في المنهج الإسلامي النبوي ما فطن إليه الداعية الحاكم عمر بن عبد العزيز عندما أراده ابنه أن يحمل الناس على الحق دفعه واحدة،فقال له مندفعاً إلى الحق لتنفيذه في الحال: يا أبتي ما منعك أن تمضي لما تريد من العدل؟! فو الله ما كنت أبالي لو غلت بي وبك القدور في ذلك!! قال: يا بني، إنما أنا أروض الناس رياضة الصعب إني لأريد أحي

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث رقم ٤٩٩٣.



الأمر من العدل، فأوخر ذلك حتى أخرج معه طمعاً من طمع الدنيا، فينفروا من هذه، ويسكنوا لهذه!! [1].

فالقرآن نزل بالتدرج، والتشريع استمر بالتدرج وخلق الله الكون بالتدرج: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[2].

وتوزيع الأرزاق والأقوات على الأرض جاء بالتدرج: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾[3].

فالتدرج من سنن الله في الكون ما ينبغي أن يخطئه الدعاة.

فالتيسير منهج دعوي أصيل يلازم التدرج ملازمة الظل للعود لا يخطئه، فهما صنوان ينتجان مولوداً واحداً، فيكون التيسير في القاعدة، والوسط والقمة، فهو ليس خطوات، ولكنه يصحب كل خطوات التدرج، يسير معها واحدة بواحدة، لا ينفك عنها دافعاً للمشقة وطارداً للعنت، مبتعداً عن الغلو... [4].

---

(١) ذكره الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد ص ٣٠٠ دار الكتاب العربي بيروت ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م وأبو نعيم في حليه الأولياء ٥/ ٣٥٤ ط ٥ دار الرياض للتراث بالقاهر ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.

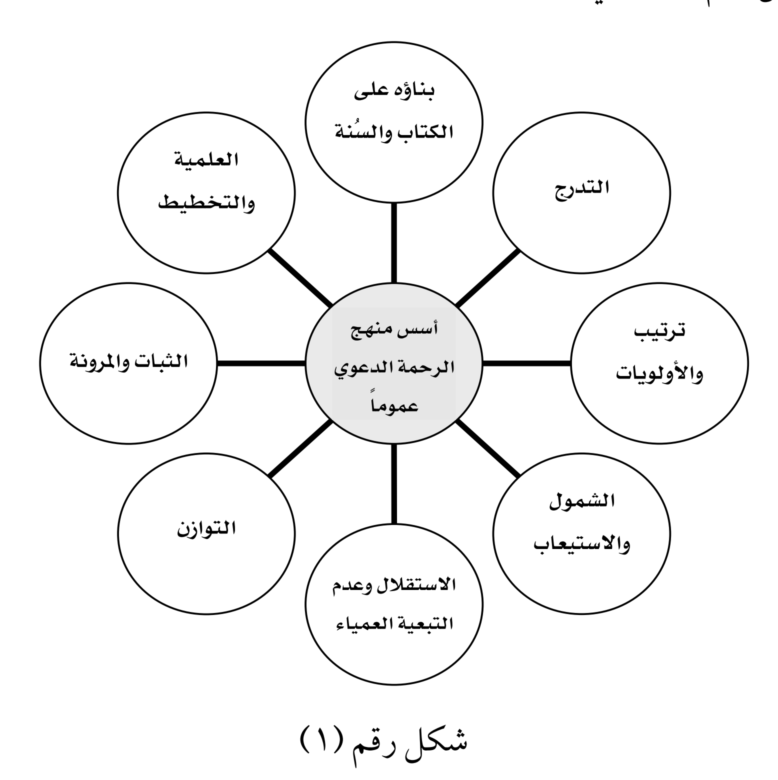
(٢) سورة ق الآية ٣٨.

(٣) سورة فصلت الآيات ١٠.

(٤) للتوسع في التدرج بكل أشكاله وأنواعه بإطناب، انظر: كتابنا: معالم الدعوة في ضوء=

والخلاصة هنا،أن الذي نريده من دعاتنا المعاصرين، وهم يعيشون عصر العولمة أن لا يتعجلوا الأمور ولا يخلطوا الأوراق، بين نسيج الدعوة وأن **يعرفوا موقع الرحمة في منهج نبيهم**.

وفي الختام هذه أسس أجملها في هـذا الرسـم التخطيطـي لأجمع شـتاته في الشكل رقم (١) التالي:



شكل رقم (١)

=المنهج النبوي ص ٣٥وما بعدها.



المبحث الثاني

تأصيل التطور في المنهج الدعوي وقيامه على الرحمة

التطور سُنة من سنن الله في الكون يسير عليه كل شيء وهو حركة وانتقال مع الزمن الذي لا يهدأ ولا يسكن.. فتعاقب الليل والنهار تطور وتعاقب الفصول المناخية تطور، وحركة الرياح وتيارات الهواء صعوداً وهبوطاً تطور وتعاقب الأجيال البشرية تطور، واندثار خلايا الجسم وحلول أخرى محلها تطور، والنمو في كل ما هو نام تطور، فالكون كله في تطور...

ونحن هنا نعني بالتطور في المنهج الدعوي، ذلك الاستمرار والنمو المتصاعد العابر مع الأجيال والأزمان **يتراحمون** به ومع ذلك فهو مشتق من أصول نامية وجذور راسخة وقاعدة متينة رصينة من الكتاب والسنة وبالتالي لا نخاف عليه من الانزلاق ولا نخشى عليه الذوبان والاندثار ولا الاضمحلال مع الزمن ولكن طور كالشجرة المتينة تضرب جذورها في باطن الأرض وتشمخ بفروعها في عنان السماء تورق اخضراراً وتثمر غذاء، وشجرة: ﴿ **أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾[1] فالتطور الذي ننشده

(١) سورة إبراهيم، الآية ٢٤ – ٢٥.

يعني تفاعل الداعي مع بيئتة يأخذ ويفيد ويستفيد ،فالدعوة إلى الله ليست مهمة مؤقتة في حياة الدعاة، وإنما هي عمل دائم وحركة مستمرة[1].

فلا بد إذن من التطور في أحوال المدعوين حسب أعمارهم وأزمانهم، فلو نظرنا مثلاً إلى المنهج الدعوي في المرحلة المكية وهي مرحلة مبكرة في حياة الدعوة نجدها راعت أحوال الناس ونظرت لأخطر الأشياء عندهم فبدأت بها وهي إصلاح العقيدة ولهذا فنحن كتأصيل لهذا المنهج فلابد أن نلقي نظرة على أحوال الناس في تلك الفترة ثم نقارنها بأحوالنا في عصورنا المتأخرة ونجعل المقارنة منصفة حتى لا نعمم بدون تفكر.

ولهذا جاء المنهج في تلك المرحلة لتصحيح العقيدة الفاسدة حيث كان الناس يعبدون الأصنام ويسجدون لها من دون الله فكان المنهج مركزاً على هذا الجانب دون سواه وإن لم يغفلها تماماً، ولهذا فقد سلك معهم القرآن أسلوب الحوار والإقناع ولفت انتباههم إلى تلك الآلهة الحجرية التي لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تعي ولا تمرض ولا تشفي وكذا أسلوب التساؤل الذي يلفت الانتباه ويجذبهم ويجعل المرء يعالج ذلك في داخله وفي سره وفي خلوته كما حكى القرآن ذلك على لسان إبراهيم: ﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ**

(١) انظر خصائص تبليغ الدعوة ص ٩٧.

لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴾[1]. وفي الجانب الاجتماعي فإن المجتمع كان يقوم على العصبية القبلية والتحزب والتعنصر الأعمى للقبيلة حتى إن أخطأت فهم معها كما قال شاعرهم:

هل أنا إلا من غزية إن غوت غويت * وإن ترشد غزية أرشد

ولقد بعث النبي ﷺ والجزيرة العربية تموج بالقوميات والعصبيات فكل قبيلة تقدم ولاءها وتحصر انتماءها ونصرها لأفراد قبيلتها ونصرها لأفراد قبيلتها ونصرتهم[2] وكان الارتكاز على العشيرة والقبيلة حتى جاء الإسلام ونهى عن التعصب والعنصرية وقال لهم ﷺ: «**فما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال دعوها فإنها منتنة**»[3] وأمر بالاجتماع والتعاون على البر والتقوى: «**المؤمن للؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه**»[4].

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٥٢.

(٢) انظر المورد العذب الزلال ص ٩٣ أحمد يحي النجمي ط ١ ٢٠٠٢م.

(٣) متفق عليه، البخاري كتاب التفسير باب ١٥ ومسلم كتاب البر والترمذي كتاب التفسير باب ٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ٣٦ تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً.

الخلاصة:

إن المنهج في هذه المرحلة ومراعاته لأحوال الناس ركز على إصلاح العقيدة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي العام وغرس العادات الحسنة وإفراغهم من تلك العادات القديمة الضارة ثم بعد ذلك بالأهم وهو الصلاة التي تلي الشهادتين مباشرة.

أما أسس بناء المنهج من ناحية التأصيل في المرحلة المدنية فقد اختلف الأمر تماماً فيه، ففي الجانب العقدي مثلاً نجد المدعو عميق الإيمان كامل الفهم للشريعة والعقيدة محرراً تماماً من الشركيات وعبادة غير الله.

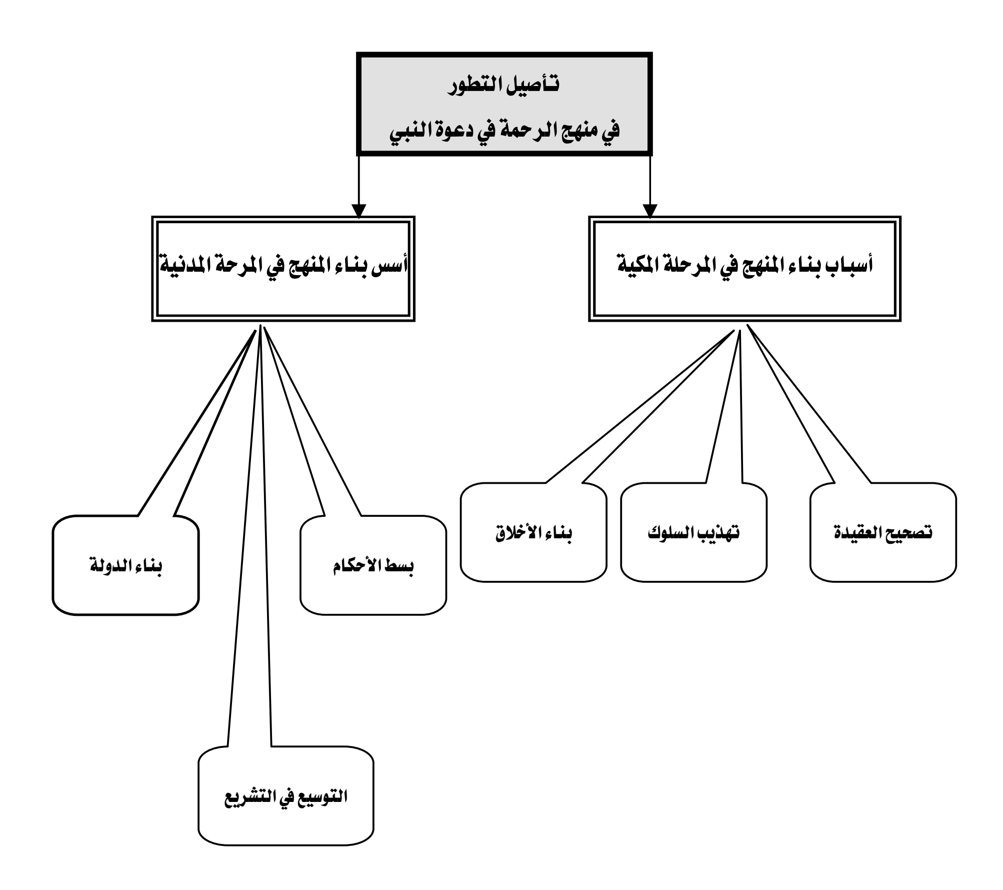
وفي الجانب الاجتماعي الناس متماسكون ومتعاونون ومتحابون ومتآلفون ذلك لأن الأنصار الذين بايعوا النبي ﷺ،في بيعتي العقبة ذهبوا إلى المدينة ونشروا الإسلام هناك.

وبهذا جاء التركيز في هذه المرحلة على بناء الدولة الإسلامية الحضارية. وبناء الشخصية الإسلامية وتسليحها بالعلم حتى تحمله إلى أصقاع الدنيا وأقاصيها وقد فعلوا ذلك ومن هنا فقد بنى الإنسان بناء كاملا ثقافياً وحضارياً وسلوكياً مما أهله ليكون القدوة الحسنة والمثال الذي يحتذى. والرسم أدناه يجلي لنا تأصيل التطور في المرحلتين المكية والمدنية للدعوة وكيف كانت أحوال الناس



فيها ويقارن ذلك مع أحوال المدعوين في أوقاتنا الحاضرة.

انظر ذلك في الشكل رقم (٢).



الشكل رقم (٢)

* * *

المبحث الثالث

مراعاة الفوارق بين الناس رحمة بهم

المطلب الأول: حالة المدعو في الماضي ومسالك المنهج الدعوي:

مراعاة الفوارق بين الناس من حيث الزمان والمكان ومن ناحية السن وكذا الجنس.... كل تلك الفوارق يلزم الدعاة ملاحظتها ومراقبتها بدقة حتى لا تختلط عليهم الأوراق وتتداخل الخيوط ويتكثف الضباب وهو **منهج الرحمة** الذي بعث به النبي ومارسه عملاً وتطبيقاً واقعياً وسوف نحاول أن نلقى نظرة أو دراسة قصيرة على أحوال المدعوين من السلف المتقدمين منهم والقريبين وخاصة في العصور الأولى لتتضح لنا الفوارق التي يجب أن يلاحظها الدعاة، وكلما كان الناس قريبين من عهد النبوة كلما كانت أحوالهم العلمية والمعرفية والسلوكية أهدأ من الذين يلونهم ذلك لقربهم من نزول الوحي وانفعالهم الشديد بالإسلام كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ: «**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم،قال عمران لست أدري أذكر قرنين أو ثلاثاً....**»[1] إن الصحابة كانوا يرون القرآن ينزل والنبي موجود بين ظهرانيهم ينهاهم عن خصال

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب ١ كما ذكره في أبواب أخرى.



ويأمرهم بأخرى ويأمرهم أن يطابق قولهم فعلهم وينهاهم عن عكسها فلا يسعهم والحال هذه إلا التطبيق والعمل الفوري، فينزل القرآن وحديدهم (ساخن) فيضرب عليه ويتشكلون كما يريد لهم القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[1] وكان حالهم قراءة القرآن وفهمه والعمل بما جاء به يتلوه الرجل في نفسه والمرأة في نفسها وتتلوه العائلة مجتمعة أو متفرقة يقول أبو عثمان الهندي (تضيفت أبا هريرة رضي الله عنه سبعاً فكان هو وامرأته وخادمه يتعاقبون الليل أثلاثاً يصلى هذا ثم يوقظ هذا قلت: يا أبا هريرة كيف تصوم؟ قال: أصوم من أول الشهر ثلاثاً)[2].

وهذا القرب من الينابيع الإسلامية يؤثر في نفوسهم تأثيراً كبيراً مما يجعلهم يتمسكون أكثر وعزيمتهم أمضى وعودهم أقوى وسريرتهم أطهر الشيء الذي يجعل الفرق بينهم وبين أحوال المدعوين في العصور المتأخرة شاسعاً، مما يلزم الدعاة مراعاته عند دعوتهم، فإذا أخذنا الحياة من كل جوانبها – ونحن نقارن بين أحوال المدعوين في السابق نجدها أسهل وأيسر، وأقل تعقيداً وكلفة في سبل

---

(١) سورة الصف الآية ٢-٣.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ١/ ٢٨٢ وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ٦٠٩ وقال رجاله ثقات.

كسب العيش، وكذلك في القناعة بالقليل وأخذ الأسهل منها في المركب والمسكن والملبس والأثاث، الشيء الذي يتبعه هدوء في النفس وطمأنينة في البال مما يدل على **فهمهم لمنهج الرحمة النبوي** وتمسكهم به، فالنبي ﷺ كان بين الصحابة وهم يرون حاله ويسمعونه يقول: «**اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً..وفي رواية قوتاً**»[1] وكذلك سار على نفس النهج خلفاؤه وأصحابه والتابعون،وهذا عمر الفاروق على قوته وشدته،ولكنه في غاية التواضع في شأن الدنيا وأحوال المعيشة، لم يفارقه ذلك حتى بعد أن تولى الخلافة، يقول ابن كثير عنه: (قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية على طريق إلياء على جمل أورق، تلوح صلعته للشمس، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة، تصطفق رجلاه بين شعبتي الرحل بلا ركاب، وطاؤه كساء انبجاني ذو صوف، وهو وطاؤه إذا ركب وفراشه إذا نزل وحقيبته نمرة، أو شملة محشوة أيضاً بصوف وهي حقيبته إذا ركب ووسادته إذا نزل عليه قميص من كرابيس قد رم وتخرق جنبه، فقال ادع لي رأس القوم، فدعوا له الجلومس، فقال: اغسلوا قميصي وخيطوه وأعيروني ثوباً أو قميصاً فأتي بقميص كتان، فقال: ما هذا؟! قالوا كتان فقال وما الكتان؟ فأخبروه، فنزع قميصه فغسل ورقع وأتي به، فنزع قميصهم ولبس قميصه ،فقال

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد حديث رقم ١٩.

له الجلومس: أنت ملك العرب (وهذه البلاد لا تصلح بها الإبل، فلو لبست شياً غير هذا، وركبت برذوناً لكان ذلك أعظم في أعين الروم، فقال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فلا نطلب بغير الله بديلاً[1].

هذه السهولة واليسر وعدم المبالغة والمغالاة **وانتهاج الرحمة** في المنهج الإسلامي هي التي دفعت حتى أعداء الإسلام أن يعترفوا بأن سهولة الإسلام ويسره هي من أفضل العوامل الجاذبة للدخول فيه وهذا هو المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون يقول: (وساعد وضوح الإسلام وما أمر به من العدل والإحسان على انتشاره في العالم...

وبتلك المزايا نفسر سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغة فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل)[2].

ومن الفوارق بين حال المدعو في السابق والحاضر علاوة على ما ذكرنا

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٥٩/ ٦٠.

(٢) حضارة العرب ص ١٦٢ جوستاف لوبون طبع دار التراث العربي بيروت ط ٣، ١٣٩٩هـ ترجمة عادل زعتر.

سابقاً من نماذج يتضح لنا مدى الرابط الذي كان عليه المدعوون السابقون من تمسكهم **بمنهج الرحمة** ومعرفتهم له، مما أدى إلى عدم تأثير الغزو الثقافي عليهم وتماسكهم وتكافؤ الأدوات التي تستعمل في التأثير الثقافي والحربي إلى حد ما، الشيء الذي قلل من ذلك الأثر، كذلك التكافل والتعاضد الذي يحظى به المسلمون الأوائل.

* * *

المطلب الثاني:حال المدعو في الحاضر ومسالك المنهج الدعوي ومعرفته بمنهج نبي الرحمة:

إن الداعية الذي لا يراعي فوارق مدعويه، في الزمان والمكان،وفي الليل والنهار وفي الحر والبرد،وفي الصحاري، وفي الوهاد والوديان والغابات والأحراش وفي السهول والجبال، وفي الغني والفقر،وفي التعليم والجهل،وفي التدين والضعف الديني، وفي مدى **إلمامهم بالرحمة في منهج نبيهم** ﷺ....

إن الداعي الذي لا يراعي تلك الأحوال، فإن دعوته تنفر أكثر مما تحبب وتُبْعِدُ أكثر مما تقرب، فهو كما يقولون: كمن يغرد خارج السرب فلا يُسْمَعُ تغريده!!

وهذا النوع من الدعاة هو الذي أفرز لنا أجيالاً من الشباب الأغرار

المغالين – مع عوامل أخرى متداخلة – الذين أخذوا معلوماتهم – على ضحالتها – ومعارفهم الدينية من أفواه هؤلاء ومن كتاباتهم، ولم يثنوا ركبهم لدى العلماء الربانيين العارفين بأصول وفروع ومتغيرات وثوابت ورحمة هذا الدين، ومصالحه المرسلة وقواعده العامة وخصوصياته، الشيء الذي أوقع كثيراً من المسلمين في مشاكلات فيما بينهم ومع غيرهم من العالم الخارجي.

يقول ابن القيم في شرح قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[1].

(جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق:

١- فالمستجيب القابل للدعوة الذكي، الذي لايعاند الحق ولا يأباه يدعى بطريق الحكمة.

٢- والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة،وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

٣- والمعاند الجاحد يدعى بالتي هي أحسن[2].

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٥.

(٢) التفسير القيم ص ٣٤٤ لأبن القيم الجوزية تحقيق حامد الفقي ٩٤٠٨.

فمن الفوارق التي يلزم الداعي مراعاتها رحمة بالمدعوين ما يلي:

أولاً تداخل الثقافات وتعانق الحضارات:

لقد جعلت سهولة المواصلات وسرعتها من العالم ما يمكن أن ينطلق عليه البلدة الواحدة فالإنسان يمكنه أن ينتقل من دولة إلى أخرى، في زمن وجيز بالطائرات السريعة فتنتقل معه عاداته وأفكاره ومعتقداته وثقافته حيثما توجه، وكذلك، من عوامل التأثير المتبادل بين الشعوب والأمم في الوقت الحاضر والمخترعات الحديثة في الاتصالات ابتداء بالبرقيات ومروراً بالهواتف المنزلية ثم المحمولة إلى شبكات المعلومات الدولية (**Enter Net**) والبريد الإلكتروني (**E-Mail**) ثم عملت الفضائيات على إكمال تلك الدائرة، حتى تداخلت أطرافها وانسبكت جوانبها حتى لا يكاد يرى أولها من آخرها فأصبح كل شيء في العالم متاحاً ومنشوراً يمكن الحصول عليه بالصورة والصوت حياً وفي حال وقوعه وحدوثه بارزاً للعيان أو طازجاً لم تبرد حرارته الشيء الذي لم يكن متاحاً للسابقين الذين احتفظوا بكثير من مقوماتهم ومكوناتهم الشخصية،التي كادت أن تشتبك خيوطها في حال عالمنا اليوم!!مما جعل شخصية شباب اليوم تتغير بسرعة تحتم على الدعاة ملاحقتها ومراعاتها، ودى معلافتها بأسس منهج الرحمة في سيرة نبيها..؟



ثانياً: تعقيد الحياة وتشعبها ومراعاة منهج الرحمة:

الحياة في عالمنا المعاصر تشعبت فروعها كثيراً وتشابكت أغصانها في كل جوانبها ففي المسكن لم يعد إنسان اليوم يقنع بالبيت المتواضع المصنوع من الأعشاب وعيدان الأشجار أو مبني من اللبن أو الطوب المحروق، إذا كان هذا هو المنزل في شكله الخارجي، فإن الأثاث هو الآخر أخذ في هذا التعقيد، مما جعل الإنسان يلهث وراء المادة ليغطي بها تلك الأعباء الإضافية التي فرضها عليه أسلوب حياة عصره.

وهذا التعقيد في الجانب الاقتصادي أدى إلى مشكلات كثيرة في جوانب أخرى كالجانب الاجتماعي وقلل من فرص التواصل بين الأسر والأقارب، كما أدى ضغط الحياة إلى انشغال الناس بأنفسهم عن غيرهم وقلت المساعدات للآخرين، وكاد الناس ينكفؤون على أنفسهم وينزوون، الشيء الذي أثر في المكونات النفسية لدى كثير الناس وتفشت الأمراض النفسية والعقلية بسبب تلك الضغوط.

وعلى نفس المنوال نسجت الأحوال السياسية التي تداخلت فيها عوامل خارجية كثيرة ساد فيها تسلط القوي على الضعيف وأصبحت الدول الكبرى أو القوية تتدخل في خصوصيات الأخرى الأقل منها،وتستغلها لتسير على

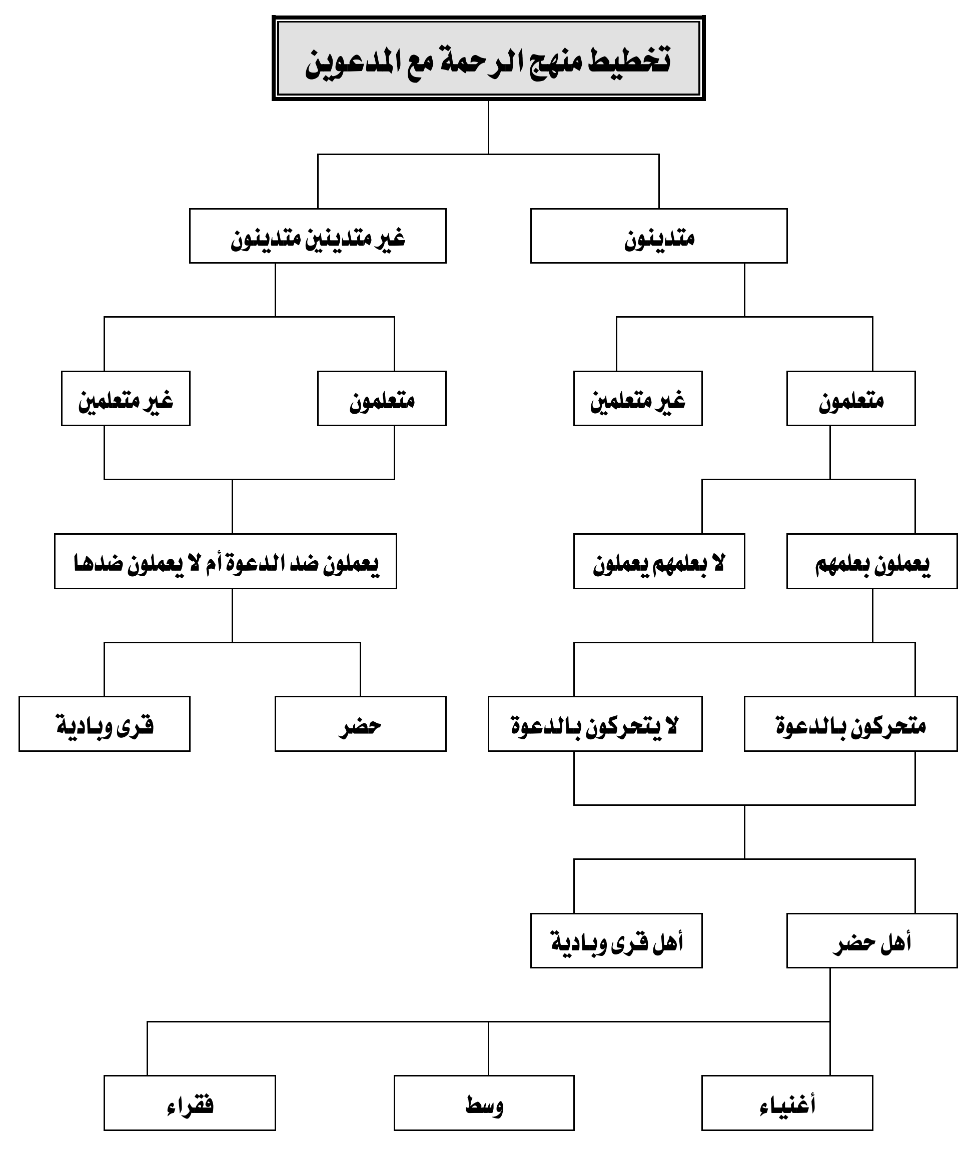
منهجها وتمشي في ركبها وكان العامل الاقتصادي هو مصدر الشر الذي سرت منه كل النار،و ذلك **لمجانبته لمنهج الرحمة**.

ومراعاة لهذه الأحوال، وتسهيلاً لعمل الدعاة وتطبيقاً **لمنهج النبي في الرحمة** نلخص العمل مع المدعوين في الوقت الحاضر إلى: **مسلمين متدينين ومسلمين غير متدينين**، وكل فريق من هؤلاء إما متعلمون أو غير متعلمين، والمتعلمون إما إنهم يعملون بعلمهم أو لا يعملون، وهل هم متحركون بالدعوة أم لا؟ وكل نوع من تلك الأقسام، إما أهل حضر ومدن أو أهل قرى وبادية، وكل مجموعة منهم، إما أغنياء أو فقراء، أو وسط في معيشتهم[1].

* * *

(١) للوقوف على تفاصيل أكثر انظر المنهج العلمي للدعوة للمؤلف ص ٢٦ وما بعدها.


Prophet of Mercy


تخطيط منهج الرحمة مع المدعوين
متدينون
غير متدينين متدينون
متعلمون
غير متعلمين
متعلمون
غير متعلمين
يعملون بعلمهم
لا بعلمهم يعملون
يعملون ضد الدعوة أم لا يعملون ضدها
متحركون بالدعوة
لا يتحركون بالدعوة
حضر
قرى وبادية
أهل حضر
أهل قرى وبادية
أغنياء
وسط
فقراء

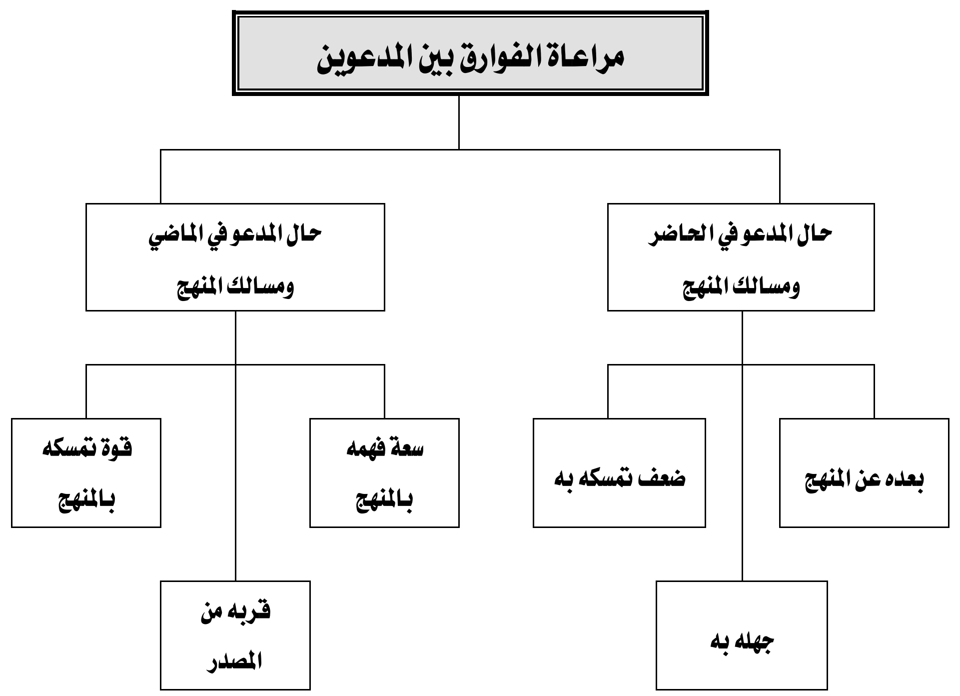
شكل رقم (٣)

فالمتدينون من المسلمين يكون العمل الدعوي معهم أسهل وأيسر على الداعي، لاسيما إن كانوا متعلمين، حيث يحتاجون لوضع الخطط ورسم المنهج السليم والوسطي وهو **منهج النبي**، وإعانتهم بوسائل دعوية تناسب حالهم، مثل إعطائهم بعض الكتب والمطبوعات الصغيرة والأشرطة المسجلة وإرشادهم إلى ذلك ومساعدتهم على الاعتناء بتربية أطفالهم وتنشئتهم على حب الخير والفضيلة **وترسيخ مفهوم رحمة النبي** في أذهانهم....

أما غير المتدينين من هؤلاء يحتاج العمل معهم إلى الصبر والحلم وبذل الجهد وسعة الصدر وربط حبل الود معهم ووصلهم بالهدايا والزيارات الأسرية ومساعدتهم على قضاء حوائجهم وإن أمكن أن تعقد لهم حلقات درس وإعطائهم بعض الكتب والرسائل العلمية الفقهية الخفيفة ذات الإخراج الجيد الجذاب التي تعينهم على فهم الدين والعودة إليه والتمسك به على علم وبصيرة لتبصيرهم بمنهج نبيهم.

وفي الختام وكما فعلت سابقاً- أدعوك أيها القارئ الحصيف إلى التأمل في هذا الرسم التخطيطي عن الفوارق بين المدعوين ومراعاة أحوالهم في الماضي والحاضر.




مراعاة الفوارق بين المدعوين
حال المدعو في الحاضر ومسالك المنهج
حال المدعو في الماضي ومسالك المنهج
بعده عن المنهج
ضعف تمسكه به
جهله به
سعة فهمه بالمنهج
قوة تمسكه بالمنهج
قربه من المصدر

الشكل رقم (٤)

* * *

المبحث الرابع

نماذج من قضايا المجتمع وكيف يعالجها الدعاة وفق منهج الرحمة

المطلب الأول: التكفير والخروج على جماعة المسلمين من نواقض منهج الرحمة النبوي:

تحيط بالمجتمعات الإسلامية مشكلات عديدة ومتنوعة ومتداخلة ،بعضها داخلي والآخر خارجي، باعتبار أن الأمة الإسلامية جزء من نسيج هذا العالم، تتأثر به وتؤثر فيه،سلباً وإيجاباً، فنود هنا في هذه الورقة الصغيرة أن نتعرض لنماذج فقط من بعض تلك القضايا، نأخذ قضية أو ثلاث، والمشكلات الناجمة عنها مستندين في ذلك على المصادر الشرعية الأصيلة كأساس نبني عليه.

نود أن نسجل في البداية،أن **التكفير ليس من منهاج نبي الإسلام** ولا من آدابه ولا يقره،بل يشدد النكير على من كفّر مسلماً بدون برهان،ويجعل كلمة التكفير تعود على من رمى بها الآخر إن لم يكن كذلك بعواقب غير حميدة: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾**[1].

(١) سورة النساء الآية ٩٤.



وحتى يبعد الإسلام المسلم عن جو التكفير فقد نهاه عن أدني من ذلك، مثل الغيبة والنميمة والتجسس،وذكر مساوئ الآخرين ،إبعاداً له عن حمى التكفير: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ** ﴾[1].

كما نهى النبي ﷺ عن سوء الظن بالمسلمين عموماً وأن يتركهم على ظاهرهم إن كان لم يبد عليهم ما يستوجب الظن أو الريبة ولهذا قال ﷺ: «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان**»[2].

وبغض المؤمن وتكفيره لا يكون إلا إذا ترك أمراً معلوماً من الدين بالضرورة وهو من فرائض الإسلام ولوازمه وحتى هذه لا يكفر صاحبها عند كثير من العلماء إلا إذا جحد وجوبها وأنكرها رحمة بالناس وجمعاً لكلمتهم ولماً لشملهم.

---

(١) سورة الحجرات الآية ١١.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير برقم ٥٠٩٠ سورة الأنعام والدارمي في كتاب الصلاة باب رقم ٢٣ المحافظة على الصلوات، وابن ماجة في المساجد باب ١٩ والإمام أحمد في مسنده ٥،٣/ ٦٨/ ٧٦.

ولننظر إلى هذا النص الذي يزعم صاحبه أنه يبغض فيه آخر في الله ولننظر أيضاً ماذا قال لهم رسول الله ﷺ، يقول واثلة: (إن رجلاً مر على قوم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم: والله إني لأبغض هذا في الله فقال أهل المجلس: بئس والله ما قلت أما والله لننبأنه، قم يا فلان -رجلاً منهم- فأخبره، قال فأدركه رسولهم، فأخبره بما قال، فانصرف الرجل حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله، مررت بمجلس من المسلمين فيهم فلان قال: والله إني لأبغض هذا الرجل في الله..فادعه فاسأله على ما يبغضني؟فدعاه رسول الله ﷺ، فاعترف بذلك، فقال له النبي ﷺ: «لِمَ تبغضه؟ **فقال: أنا جاره وأنا به خابر، والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة..قال: فاسأله يا رسول الله هل رآني أخرتها عن وقتها؟ أو أسأت الوضوء لها؟ أو الركوع والسجود فيها؟ فسأله رسول الله ﷺ، فقال الرجل: لا والله ما رأيته يصوم شهراً قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر.. قال فاسأله يا رسول الله هل رآني أفطرت فيه؟ أو نقصت من حقه شيئاً؟ فقال الرجل: لا والله ما رأيته يعطي سائلاً أو مسكيناً قط.. ولا رأيته ينفق في سبيل الله من ماله إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر..قال: فاسأله يا رسول الله هل رآني نقصت منها.. أو ما كست في طالبها الذي يسألها؟ فسأله، فقال الرجل: لا، فقال له رسول الله ﷺ: قم فلعله**



خير منك»[1].

فهذا الرجل المبغوض من صاحبه،قد أدى الفرائض ولم يزد عليها ومع ذلك شهد له رسول الله ﷺ بالخيرية، ووبخ الآخر، فهذا هو المنهج الإسلامي الصحيح الذي لا يتهم الناس بالباطل ويأخذهم بالظن والشبهات رحمة بهم ورأفة.

ولهذا فقد شدد النبي ﷺ على من كفّر أخاه فقال: «**من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما،إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»[2].

قال النووي في تأويل هذا الحديث، سارداً أقوال العلماء في معنى الكفر الوارد فيه: «معناه أن ذلك يؤول به إلى الكفر، وذلك أن المعاصي، كما قالوا: بريد الكفر ويخاف على المكثر منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر»[3].

فالتكفير أقل ما فيه من مساوئ أنه يجلب للشخص الذي يكفّر المسلمين الجفوة والنفور منه وبغضه من الناس وعدم التعاون معه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٤٥٥٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم ١١١والإمام أحمد في مسندة ٢/ ٢٣و١٤٢.

(٣) انظر شرح النووي على مسلم ١٠/ ٥٠ نشر البحوث العلمية الإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية (بدون تاريخ).

المطلب الثاني: تكفير عموم الحكام يناقض منهج الرحمة:

قلنا فيما سبق إن تكفير المسلمين لا يقره الإسلام وهو لا يخدم رحمة النبي والحكام من جملة المسلمين في عمومهم، إلا من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ولكن الذين يكفرون الحكام المسلمين مطلقاً هم شباب لم يعرفوا الأحكام الشرعية ولم يأخذوها من مصادرها الأصيلة فطفقوا يستدلون بآيات وأحاديث، لم يدروا فقهها، ولم يقفوا على أسباب نزولها، ولا سبب ورود الأحاديث،لكي يستأنسوا بذلك ليعينهم على فهم الآيات والأحاديث الفهم السليم.

وهذا ما فطن إليه ابن عباس، عند ما تساءل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: (كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة – زاد سعيد – وكتابها واحد؟ فقال ابن عباس يا أمير المؤمنين إنما أنزل علينا القرآن، فقرأناه وعلمنا فيم نزل وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيما نزل فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان كذلك اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا، قال: زجره عمر وانتهره.. فانصرف ابن عباس، فنظر عمر فيما قاله فعرفه، فأرسل إليه وقال:أعد عليَّ ما قلت فأعاد عليه فعرف عمر قوله فأعجبه)[1].

والآيات القرآنية منها ما يرد في المشركين، ومنها ما ينزل في الجاحدين لحكم

(١) انظر الإعصام للشاطبي ٢/ ١٨٣.



الله المنكرين له، وما من شك أن من أنكر حكم الله وجحده أو قال إن أحكام البشر وقوانينهم ونظمهم ومناهجهم أفضل من حكم الله فهـو كـافر، ولكـن مـن تعـذر وتعلل بعلات وتأويلات،فلم يحكم عليه معظـم العلـماء بـالكفر البـواح، وأولـوا الآيات الواردة في من لم يحكم بما أنزل الله بأنه كفر نعمة الحكم، قال بن كثير:

قال السديّ: ومن لم يحكم بما أنزل الله فتركه عمداً أو جار وهو يعلم ،فهـو من الكافرين... وقال على بن طلحة: من جحد ما أنزل الله،فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو فاسق وظالم، رواه ابن جرير ،ثم اختار أن الآية المـراد بهـا أهـل الكتاب أو جحد حكم الله المنزل في الكتاب[1].

والحاكم الجائر أو الظالم ينصح وينبه بكل وسائل النصح سواء باللسان أو القلم بالسر أو العلن إن كان ظلمه علانية ولكن بالتي هـي أحسـن ولـيس بـالي هي أخشن، وتكون بشروطها وآدابها من حيث الوقت المناسب والمكان المناسب والحديث المناسب.. وهو ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «**من كان عنده نصـيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ بيده ليخل به فإن قبلها، قبلها وإلا كان قد أدى الذي له**»[2].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٦١ طبع عيسى (بدون تاريخ).

(٢) أخرجه الحاكم المستدرك ٣/ ٢٩٠ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

المطلب الثالث: الشباب والغلو المخالف لمنهج النبي في الرحمة:

إن الشباب ثروة الأمة وذخرها المدخر لمستقبلها وبناء مجتمعها واستثمارها المستقبلي،فأمة بلا شباب كشجرة بلا براعم فهي عاطلة عن النمو تراوح مكانها، فلابد للأمة الناهضة أو التي تريد التقدم أن تصرف جل جهدها في بناء الشباب ورعايتهم.

والناظر المدقق المحايد المتجرد من الهوى والغرض،لا يجد ديناً أو نظاماً أو منهجاً أو قانوناً أو دستوراً، اعتنى بالشاب ورعاه ووضع لـه نظامـاً ومنهجـاً في صلب عقيدته ودينه كالإسلام، منهجاً وسطاً يقـوم عـلى الرحمـة بالنـاس عامـة والشباب خاصة لقد كرم الإسلام الشباب، كما كرم الإنسـان كلـه:وجعـل منـه أساس أمن المجتمع وقوامه، وعنصر القيادة والـدعوة والحكـم، وأعـده وهيـأه لكل الميادين واعترف بقوته وباهى بأعماله، واعتـبره محـط العنايـة الكـبرى مـن جعل فئة الشباب أعظم فئات المجتمع، ويؤكد ذلك ما وضعه القرآن الكريم من مبادئ سامية ومناهج وقيم أخلاقية تضـمن لـه النشـأة الصـالحة وتحفـظ عليـه نضارة شبابه وصحة بدنه ، وقوة عزيمته وتمنحه سلامة التفكير وصـلابة الإرادة وقوة الشخصية[1].

(١) انظر الشباب والانفتاح الاجتماعي أ.د. يوسف الكناني من بحوث الندوة العالمية للشباب=



لقد أرشد القرآن إلى أن الشباب الواعي الناضج عقلياً وفكرياً وفقهياً، وهم حملة الدعوة الذائدين عن الدين،أصحاب المنهج المعتدل والأسلوب الوسط، فقد أثنى على إبراهيم عليه السلام وعلى دعوته ذات المنهج الميسر المتدرج، وهو فتى شاباً، يبدأ بنصح أبيه بلطف ولين، ثم قومه، بالمنطق والحجة:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[1]. بل حتى عند ما أراد أن يستعمل معهم أسلوباً أخر حيث لم يفدهم أسلوب الحجة والبرهان ولم يوجه القوة لهم مباشرة، وإنما وجهها لأصنامهم– والحال أنهم كفار كفراً بواحاً فقال قلهم: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾[2].

=الإسلامي ٣/ ٤١طبع الرياض السعودية.

(١) سورة الأنعام الآيات ٧٤، ٧٨.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٥٧.

إن ظاهرة الغلو عند بعض الشباب لم تبرز فجأة، وإنما جاءت لأمور تراكمية منها الفهم الخاطئ للنصوص الشرعية وسوء فهم **منهج الرسول القائم على الرحمة.**

ومن أسباب الغلو أيضاً بعض ما يراه الشباب من تناقض أو تناقضات في محيطه الإسلامي من حركة المجتمع التي لا تسرهم،وخاصة في نظرته العجلى ولاستعمال السلطة في العنف المباشر دون حوار وحسم الأمور أمنياً زج بكثير من الشباب الإسلامي في غياهب السجون وصب عليهم ويلات التعذيب من بعض الجهات الأمنية... فشباب الأمة الإسلامية يعيش اليوم مأساة حقيقية، حيث يتمزق داخله مرتين، مرة حين يواجه التناقض بين ما يتلقاه في قاعة الدراسة من تاريخ شامخ ومشرف لأمه في صدر تاريخه ،وبينما يراه اليوم من ضياع المسلمين الذين لا يؤبه لهم في أمورهم الخاصة،خاصة فضلاً عن أن يكون لهم رأي في شؤون العالم..

مثل هذا الشباب نجد أنه في النهاية يعمد إلى تدمير نفسه أو تدمير المجتمع الذي يعيش فيه وتكفيره، كل ذلك هرباً من هذا الواقع المتناقض، ولهذا قلنا على الدعاة أن يدرسوا هذه القضية الشبابية ويضعوا لها الحلول الجذرية التي تناسبها ولكن لا يمكن أن تكون الحلول ذات أثر فعال ما لم تتعاون السلطات مع الدعاة



المخلصين المعتبرين أصحاب **المنهج الوسطي**، وأن السلطة لها القدرة المادية والقانونية والتنفيذية.

إن مغالاة بعض الشباب اليوم وسوء فهمهم الذين دفعهم إلى وصم المجتمع الإسلامي بالكفر.

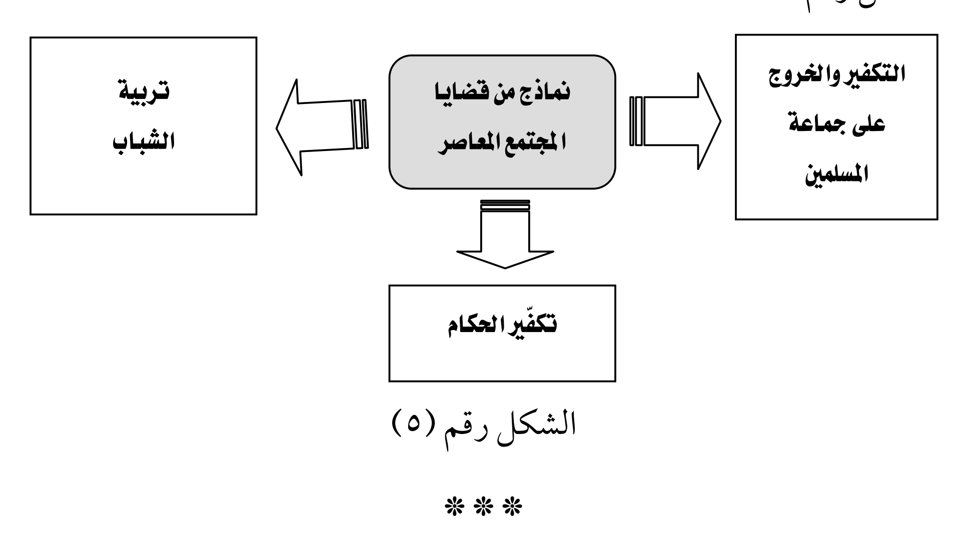
إن تربية الشباب تحتاج إلى جهد كبير، كما تحاج لتعاون جهات عديدة تتضافر كلها، على رأسها الوزارات المعنية برعاية الشباب والشؤون الاجتماعية والأندية الرياضية الثقافية ووسائل الإعلام المختلفة ووزارات الإرشاد والأوقاف.

والشباب يحتاج لوزارة خاصة تعني بشؤونه وترسم الخطط السياسات التي ترشده وتقوده إلى الفلاح والصلاح ولا نستطيع في هذه الورقة الصغيرة أن نعدد البرامج المختلفة التي تعني بالشباب وتصلح من شأنه فهي أصلاً ليست صعبة ولكن المهم هو تنفيذ وإمكانات الدولة المالية، ولكن الخطط والبرامج أكثرها موجود، وأنا هنا ركزت أكثر على الجوانب أو الظواهر النشاذ لدى الشباب الإسلامي المتدين وما يحدث منه من غلو وتطرف ذلك لأنه يقود بقية الشباب الآخر إلى طريق الخير والاعتدال بدلاً من انخراطه في دوامة النزاع بين الحاكم والمجتمع.

وفي الختام نقول: على الدعاة عامة والشباب منهم خاصة أن يسددوا ويقاربوا ويراعوا أحوال الناس وزمانهم، كما وجه بذلك النبي ﷺ: «**إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا...**»[1]. والتسديد والمقاربة هو **منهج الرحمة النبوي**...

وأسأل الله أن يوفق ويسدد كل من أراد بالإسلام والمسلمين خيراً،وأن يعينه على ذلك، إنه نعم المولى ونعم المعين.

وأتركك الآن مع هذا المخطط لأنموذج لقضايا المجتمع المعاصر في الشكل رقم (٥).



الشكل رقم (٥)

***

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين يسر، برقم (٢٩).



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فبعد أن تيسر لي إتمام هـذا البحـث الصغير المختصر، ألخص بعض مـا توصـلت إليـه مـن نتـائج في نقـاط مختصرـة فيما يلي:

أولاً: النتائج:

١ - لقد اتضح لي سعة ومرونة المنهج الإسلامي الذي يستوعب كل جديد وتليد على حد سواء.

٢- كما لاحظت وتأكـدت أن الله وضـع في هـذا الـدين ميـزتين تجعلانـه صالحاً لكل جيل، وكل عصر هما: الثبات في أصوله والمرونة في فروعه.

٣- لقد تبين لي من خلال البحث أن ثلة من الدعاة لم يستوعبوا هذا المنهج الوسطي المعتدل مما أوقع بعضهم في الغلو،وذلك لقلـة علمهـم الشرـعي وقلـة فهم منهج النبي الرحمة.

٤ - هنالك قضايا ومشكلات دعوية قائمـة بـين الـدعاة أنفسـهم وبيـنهم وبين الحكام وبينهم وبين المجتمع، لا يستعصى حلها لو اجتمع الدعاة مع العلماء

والحكام وجلسوا ثلاثتهم فكلهم مسلمون.

٥- الأصول الثابتة لا يسع الدعاة الاختلاف عليها، أما الفروع الاجتهادية فلا ينبغي أن تؤدي إلى تجنب والتنابذ.

٦- الحوار القائم على العلم والمعرفة وسعة الصدر واحترام كل طرف للآخر، هو أحد السبل المفضية إلى تجنيب الغلو.

٧- وجود ثلة كبيرة من المسلمين لم يعرفوا **سعة الرحمة في منهج نبيهم**.

❊ ❊ ❊



ثانياً: التوصيات:

١- كما أوصي أن تطبع أوراق هذا المؤتمر بعد تنقيحها من المكـرر وتـوزع على المراكز الإسلامية خارج البلاد الإسلامية وتترجم إلى بعـض اللغـات الحيـة العالمية.

٢- وأوصي بتكوين لجنة لمتابعة تنفيذ توصيات المؤتمر حتى تثمر وتزهر.

٣- وأوصي أن تعقد الجمعية العلميـة السـعودية منتـديات دوريـة تجـدد فيها الأبحاث الخاصة بنبي الرحمة وتتابع المستجدات المتلاحقـة حـول الإسـلام ونبيه.

٤- أوصي أن يكون ضـمن أمنـاء الجمعيـة بعـض الشخصـيات العلميـة الشرعية من بعض البلاد الإسلامية من غير السعوديين يحضرون أهم جلساتها.

* * *

الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها (سنن)



هاتف : ٢٥٨٢٧٤٩ – ١ – ٠٠٩٦٦

فاكس: ٢٥٨٢٧٤٣ – ١ – ٠٠٩٦٦

المملكة العربية السعودية

ص . ب ٤٦٨١١ الرياض ١١٥٤٢

www.sunnah.org.sa
sunnah@sunnah.org.sa